
الأشاعرة
ليسوا من أهل السنة والجماعة



تمَّ تنسيق هذه المادة ومُراجعتها في



هاتف: ٩٦٥+ ٥٠٣٥٠٠٧٧ البريد الالكتروني: maktab.etqan@gmail.com

الأشاعرة

ليسوا من أهل السنة والجماعة

تأليف



أعده للنشر



الطبعة الثانية
١٤٤٠ / ٢٠١٩



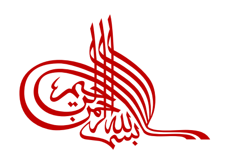
بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتَمِ المُرْسَلينَ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمعينَ.

أمّا بعْـــد:

فإنَّ الأشاعرةَ فِرقةٌ ضالَّةٌ، مُخالِفَةٌ للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، كما نص على ذلك أهل العلم، وقد كَتَبْتُ هذه الرسالة لبيان شيءٍ ممَّا خالف فيه الأشعريةُ عقيدةَ السَّلفِ الصالح، وطُبِعَتْ قديمًا، ثُمَّ بدا لي إعادة النظر فيها، فزدتُ فيها نقولات وفوائد من كتب أهل العلم، وأسأل الله أن ينصر السنة وأهلها في كل مكان وأن يهديَ ضالَّ المسلمين.



الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ خاتَمِ المُرْسَلينَ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعينَ.

أمَّا بعـد:

فإنَّ الأشاعرةَ أو الأشعريَّةَ فِرْقةٌ كلاميَّة طارِئَةٌ في الأمَّةِ، نشأت بعد القرون الفاضِلَةِ، وتَنْتَسِبُ إلىٰ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ، وإنه مُؤَسِّسُها -بِزَعْمِهم-.

وقد مرَّ أبو الحسن الأشعري في اعتقاده بمراحل؛ فقد كان معتزِلِيًّا بالاتفاق حتىٰ بلغ الأربعين، أي: حتىٰ سنة: (٣٠٠هـ).

ثم انتقلَ إلىٰ الطريقة الكُلَّابيَّة، نِسْبَةً إلىٰ مُؤَسِّسِها: أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب القطَّان البصْري، وَقدْ كان في زَمَنِ الإِمامِ أحمَد رَحِمَهُ اللَّهُ، ويُوصَفُ بأنه فارق إِجماعَ أهل السُّنة، بل إنَّه فارقَ إجماعَ أهل البدع أيضًا في مسألة الكلام النَّفْساني حيث

خالف النَّقْلَ، والعقل، والفِطْرَةَ، والعُرْفَ، واللغة، وجاء بشيءٍ لم يعرِفْهُ أحدٌ قبلَهُ، فأشبه بذلك النصارىٰ في قولهم بالتثليث.

والكُلَّابية مِن حيثُ الجملة مَذْهَبٌ وَسَطٌ بين المعتزلة وبين أهل السنة -الصِّفاتية والمُشَبِّهة والمثبتة كما يُسَمِّيهم المعتزلةُ والأشاعرة-، فأبو الحسن تركَ الاعتزالَ، ووافقَ ابنَ كُلَّاب في الأصول، والشافعي في الفروع، ثم اشتغل في الردِّ علىٰ المعتزلة ومناقشة مذاهبهم بأدلة عقلية كلاميَّةٍ، وأدلة نقليَّة فأحسن وأجاد رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم أراد أن يردَّ -بزعم أتباعه- علىٰ الصِّفاتية المُشَبِّهة المثبتة، فقرأ في مصنفاتهم واستعرض أقوالهم ومروياتهم خاصَّة ما كان للإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم قرأ كُتب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرد علىٰ الجهمية»، وكتاب: «السُّنَّة»[1] وغيرهما، فأعجِبَ بما فيها، واعتقدها، ووجد ضالته فيها بعد ترك الاعتزال.

فاستبدلَ الردَّ -المزعومَ مِن قبل أتباعه- بزيارتهم والجلوس إليهم -أعني: تلاميذ الإمام أحمد وعلىٰ رأسهم زكريا السَّاجي[2]-

---

(١) وقد طبع للمؤلف وفقه الله شرح نافعٌ لهذا الكتاب العظيم.

(٢) قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «سِيَرِ أعلام النبلاء» (١٤/ ١٩٨) في ترجمة السَّاجي: «وكان مِن أئمَّة الحَديثِ، أَخَذَ عنه أبو الحسن الأشعري مقالةَ السَّلف في الصفات، واعتمد عليها أبو الحسن في عدَّة تآليف».

ثم أَلَّف وكَتَبَ وصنَّف في نُصرةِ الحقِّ والسنة وأهلها، وخاصةً: «مقالات الإسلاميين»، و«الإبانة عن أصول الديانة».

حيث صرَّح بأنه على مذهب السلف، وأنه مقتدٍ بالإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله:

❁ ففي كتابه: «المقالات» صرَّح بأنه على مذهب أهل الحديث، فبعد أن ذكر مجمل اعتقاد أهل السُّنة والجماعة أصحاب الحديث، قال رحمه الله: «فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكلِّ ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلَّا بالله»[١].

❁ وصرَّح في كتاب «الإبانة» باقتدائه بالإمام أحمد، فقال رحمه الله: «قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسُّك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنَّة نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قولَهُ مخالفون»[٢].

---

(١) «مقالات الإسلاميين» (ص:٢٩٧).

(٢) «الإبانة عن أصول الديانة» (ص:٢٠).

ثم زاد في إظهار أمر انتقاله من المذهب الكلابي إلىٰ السنة المَحْضَة -من حيثُ الجملة- في كتابه: «رسالة إلىٰ أهل الثغر»؛ حيث أثبت صفات الله، وأنها لا تقتضي مشابهة ولا توهم تشبيهًا -كما يزعم أتباعه-، وأثبتَ أن القرآنَ كلامُ الله حقيقة، ليس بمخلوق، وأثبتَ الصفاتِ الخبرية[(١)] -وهي مَحَلُّ إِشكالٍ عظيم عند أتباعه-:

❁ فأثبتَ اليدين لله عَزَّوَجَلَّ بقوله: «الإجماع السابع: وأجمعوا علىٰ أنه عَزَّوَجَلَّ يسمع ويرىٰ، وأن له تعالىٰ (يدين مبسوطتين) ...وأن يديه تعالىٰ غير نعمته»[(٢)].

❁ وأثبتَ المَجيء، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإجماعُ الثامن: وأجمعوا علىٰ أنه عَزَّوَجَلَّ يجيء يوم القيامة والملك صفًّا صفًّا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها»[(٣)].

---

(١) **الصفات الخبرية** -وتسمىٰ النقلية والسَّمعية-: وهي التي لا سبيل إلىٰ إثباتها إلا بطريق السَّمع؛ والخَبرِ عن الله، أو عن رسولِهِ الأمين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أي: لا سبيلَ للعَقلِ علىٰ انفراده إلىٰ إثباتها، **وتنقسم إلىٰ قسمين**:

١- **صفات ذاتية**: قائمة بذاته العلية مثل: الوجه، واليد، والعين.

٢- **صفات فعلية**: تتجدد حسب مشيئة الله مثل: النزول، والاستواء علىٰ العرش، والغضب. انظر: «الصفات الإلهية» للشيخ محمد أمان (ص:٢٠٧).

(٢) «رسالة إلىٰ أهل الثغر» (ص:١٢٧).

(٣) «رسالة إلىٰ أهل الثغر» (ص:١٢٨).

وأثبتَ النُّزُول، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنَّه عَزَّ وَجَلَّ ينزل إلىٰ السماء الدنيا كما روي عن النبي ﷺ»(١).

وغيرها حقيقةً علىٰ ما يليق به تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وقد استقرَّ أمرُهُ علىٰ ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتىٰ وفاته سنة (٣٢٤هـ)، مُلتزمًا مذهبَ أهل السُّنة ومنهجَهم ومسلَكهم، منتصرًا لأهل الحق.

وخلاصة القول: إنَّ أبا الحسن كان معتزليًّا حتىٰ بلغ الأربعين، وحاز علىٰ مرتبة الإمامة والرِّئاسة، ثم وفَّقَهُ الله في الخروج والاشتغال بالردِّ عليهم وذِكْرِ فضائِحِهم.

ثم انتقلَ إلىٰ مذهب ومَسْلَكِ ابنِ كُلَّاب رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، وصاحب التصانيف في الرد علىٰ المعتزلة.

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية، والذهبيُّ، والمقريزي، وغيرهم علىٰ أنَّ الأشعريَّ لمَّا رجع عن الاعتزال سلك طريق ابن كُلَّاب.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأشعري، وإن كان من تلامذة المعتزلة ثم تاب، فإنه كان تلميذ الجبائي ومال إلىٰ طريقة ابن كُلَّاب»(٢).

---

(١) «رسالة إلىٰ أهل الثغر» (ص:١٢٩).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٢٨).

وقال الذهبي رحمه الله: «ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلىٰ الله تعالىٰ منه، ثم أخذ يرد علىٰ المعتزلة، ويهتك عوارهم»(١).

وقال المقريزي رحمه الله: «وكان أبو الحَسَنِ عليُّ بن إسماعيل الأشعريّ قد أخذ عن أبي عليّ محمد بن عبد الوهاب الجبائيّ، ولازمه عدَّة أعوام، ثم بدا له فترك مذهب الاعتزال وسلك طريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كُلَّاب»(٢).

وخلاصة مذهب ابن كُلَّاب يصفه شيخ الإسلام بأنه يميل فيها إلىٰ مذهب أهل الحديث والسنة، ولكنْ فيه نوعٌ مِنَ البدعة؛ لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله، ولم يثبت الأمور الاختيارية بذاته، أي: إن ابن كُلَّاب أثبت لله تبارك وتعالىٰ الصفات الذاتية اللازمة- خلافًا لمذهب أهل الاعتزال- إلا أنه وافقَ المعتزلة في إنكار الصفات الاختيارية التي تتعلق بمشيئة الله تبارك وتعالىٰ وقدرته، فهو وإن وافق أهل السنة في أمور إلا أنه وافق المعطلة في أمور أخرىٰ في باب: «الأسماء والصفات»(٣).

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٨٦).

(٢) «المواعظ والاعتبار بذكر الخُطط والآثار» (٤/ ١٩١).

(٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وكان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين، فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالىٰ من الصفات والأفعال التي يشاؤها =

الحاصل: أن أبا الحسن بعد مُكُوثه مُدَّةً علىٰ هذه الطريقة، رجعَ رُجُوعًا تامًّا -مِنْ حيثُ الجُمْلة- إلىٰ مذهب أهل السنة، والتزمَ طَريقتَهم ومنهجَهم، وبقي كذلك حتىٰ توفِّي سنة (٣٢٤هـ)، بعد أن انتصر للسنة وأهلها وألَّف وصنَّف في بيان معتقده وأصول ديانته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد شهد له الأئمة والعلماء بالرجوع إلىٰ مذهب السلف، مثل شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، والحافظ الذهبي، والحافظ ابن كثير رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

❁ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخذَ -أي: أبو الحسن الأشعري- عن زكريا السَّاجي أصول الحديث بالبصرة، ثم لمَّا قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أمورًا أخرىٰ، وذلك آخر أمره كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم»(١).

❁ وقال الحافظُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان حال أبي الحسن الأشعري: «وكان معتزليًّا ثم تاب، ووافق أصحاب الحديث في أشياء يخالفون فيها المعتزلة، ثم وافق أصحاب الحديث في أكثر

= ويَقْدِرُ عليها، والجهمية من المعتزلة وغيرِهم تنكر هذا وهذا، فأثبت ابنُ كُلَّاب قيام الصفات اللازمة به، ونفىٰ أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها» [انظر: «درء تعارض العقل والنَّقل» (٢/ ٦)].

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٢٨).

ما يقولونه، وهو ما ذكرناه عنه من أنه نقل إجماعهم على ذلك، وأنه موافق لهم في جميع ذلك»(١).

❁ وقال العلامةُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيَّته(٢):

وكذا عليُّ الأشعريُّ فإنَّه ... في كتبه قد جاء بالتبيان
من موجز وإبانة ومقالة ... ورسائل للثغر ذات بيان
وأتى بتقرير استواء الرب فو ... قَ العرش بالإيضاح والبرهان
وأتى بتقرير العلو بأحسن التَّـ ... ـقْرِيرِ فانظر كتبه بعيان

❁ وأمَّا الحافظُ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد نصَّ على أحوال أبي الحسن الأشعريِّ الثلاثة فقال:

❁ «**أوَّلُها**: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

❁ **والحال الثاني**: إثبات الصفات العقلية السبعة؛ وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتأويل الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك.

---

(١) «العرش» (٢/ ٣٨٧).

(٢) «شرح النُّونيَّة» لأحمد بن عيسى (١/ ٤٥٤)، ونقل العلامة ابنُ القيِّم عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ قوله: «ولمَّا رجعَ الأشعريُّ عن مذهب المعتزلة سلك طريق ابنَ كُلاب، ومال في أهل السنة والحديث، وانتسبَ إلى الإمام أحمد -كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها؛ كـ«الإبانة»، و«الموجز»، و«المقالات»، وغيرها». [انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٤٣٦)].



والحال الثالثة: إثباتُ ذلك كُلِّهِ مِنْ غير تكييفٍ ولا تشبيه؛ جَرْيًا علىٰ مِنوال السلف، وهي طريقته في «الإبانة» التي صنَّف آخرًا»[(١)].

وكِتابُ الإبانةِ صحيحُ النِّسْبةِ إليه، وقد ذكره كثيرٌ من العلماء ضمن كُتبه؛ منهم:

الحافظُ ابنُ النَّديم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الفِهْرِسْت» –وهو أقرب العلماء زَمَنًا من الأشعري حيث إن وفاته كانت (سنة ٣٨٥هـ)– عندما ترجم لأبي الحسن ذكرَ جُمْلَةً مِنْ مصنفاته، ومنها كتاب: «الإبانة» فقال: «كتاب التبيين عن أصول الدين»[(٢)].

ومنهم الحافظُ ابنُ عساكر الدمشقي رَحِمَهُ اللَّهُ، والمتوفىٰ سنة (٥٧١هـ)؛ فقد ذبَّ عن أبي الحسن، وأثبت له كتاب «الإبانة» فقال: «وتصانيفُهُ بين أهل العلم مشهورة ومعروفة، وبالإِجادة والإِصابة للتحقيق عند المحققين مَوْصوفة، ومن وَقَفَ علىٰ كتابه المُسمَّىٰ: بـ«الإبانة» عَرَفَ مَوْضِعَهُ من العلم والديانة»[(٣)].

ومنهم إمامُ أهل السنة أبو عثمان الصابوني فقد أثنىٰ علىٰ

---

(١) «طبقات الشافعيين» لابن كثير (ص: ٢١٠).

(٢) «الفهرست» لابن النَّديم (ص: ٢٢٥).

(٣) «تبيين كذب المفتري فيما نُسِبَ إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري» (ص: ٢٨).



كتاب «الإبانة» وعلى أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَىٰ، وأنه مِنْ أعيان أهل الأثر، نقلَ ذلك عنه الحافظ ابنُ عساكر(١).

❁ وقال الإمام عبدُ المَلِك بنُ عيسىٰ بن دِرباس المتوفىٰ سنة (٦٥٩هـ) وهو يذبُّ عن أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «كتابَ «الإبانة عن أصول الديانة» الذي ألَّفَهُ الإمامُ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وهو الذي استقرَّ عليه أَمْرُهُ فيما كان يعتقده، وبما كان يدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد رجوعِهِ عن الاعتزال بمَنِّ الله ولطفه، وكلُّ مَقالة تُنْسَبُ إليه الآن ممَّا يُخالِفُ ما فيه، فقد رجعَ عنها، وتبرأَ إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منها، كيف؟ وقد نصَّ فيه علىٰ أنَّه ديانته التي يدينُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها، وروىٰ وأثبتَ ديانةَ الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين، وقول أحمد بن حنبل رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ...

وقد ذكر الكتابَ واعتمد عليه وأثبته عن الإمام أبي الحسن الأشعري، وأثنىٰ عليه بما ذكره فيه، وبرَّأه من كلِّ بدعة نُسبت إليه، ونقل منه إلىٰ تصنيفه، جماعة من الأئمَّة الأعلام من فقهاء الإسلام، وأئمة القرَّاء، وحُفَّاظ الحديث وغيرهم»(٢).

أما الأشاعرة فهم طائفة من أهل الكلام ينتسبون إلىٰ الإمام

---

(١) المصدر السابق (ص: ٣٨٩).

(٢) «رسالة في الذَّب عن أبي الحسن الأشعري» (ص: ١٠٨).



أبي الحسن، وينسبون إليه مذهبهم ومسلكهم المخالف لمسلك أهل السنة ولمسلك أبي الحسن نفسه.

ومذهبهم في باب الأسماء والصفات يقوم علىٰ التأويل المذموم لنصوص الصفات بأنواع المجازات، وغرائب اللغة؛ تأويلًا يصل بها إلىٰ التحريف وإخراجِها عن ظواهرها وعن مُراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مما يليق به جَلَّ وَعَلَا.

وهذا المذهب يمثِّلُ في حقيقتِهِ وأصلِهِ الطورَ الثاني من أطوار أبي الحسن حينَ تركَ الاعْتِزالَ، وسلك مَسْلَكَ ابنِ كُلَّاب البصري المُتَكَلِّم، ويصفُ شيخُ الإسلام هذا المَسْلَكَ وهذه الطريقة بأنها: بَرْزَخٌ بين السلف والجهمية؛ باعتبار أنهم أخذوا كلامًا صحيحًا من مذهب السلف، وكلامًا وأصولًا عقلية جدلية من مذهب الجهمية ظنُّوها صحيحة وهي فاسدة[1].

ثم إنَّ الأشاعرةَ طوَّروا المذهب وزادوا عليه أصولًا كثيرة من مذهب المعتزلة لا علاقة لها بأبي الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما فعل أبو المعالي الجويني إمام الحرمين المتوفىٰ سنة (٤٧٨هـ) الذي

---

(١) قال شيخ الإسلام: «والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية أخذوا من هؤلاء كلامًا صحيحًا ومن هؤلاء أصولًا عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة».

[انظر: في «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٤٧١)]

اشتهر بكثرةِ مُطالَعة كُتُبِ أبي هاشم الجُبَّائي ومُصَنَّفاته، وكما فعل وزاد أيضًا أبو حامد الغَزالي المتوفىٰ سنة (٥٠٥هـ).

ثمَّ جاء إمام الأشعرية الفلسفية الفخر الرازي المتوفىٰ سنة (٦٠٦هـ) الذي قَعَّدَ أصول المذهب، ثم تبعه الآمدي المتوفىٰ سنة (٦٣١هـ)، ثم القاضي عبدالرحمن الإيجي المتوفىٰ سنة (٧٥٦هـ).

وقد خالف الأشاعرةُ المتأخرون -بما قعَّده لهم وأصَّله أئمتهم- ما كان عليه سلفُ الأمة الكِرام في أبواب الدين وأصول الإيمان، فصرَّحوا -وما زالوا- بتباين طريقتهم ومنهجهم لمنهج السلف الكرام في طريقة الاستدلال والاحتجاج في مسائل الاعتقاد، مُسْتَحْسِنين لقواعِدِهم وأُصُولِهم التي ما زالوا يتعلَّقون بها ويظنونها أدلة شرعية قطعية، وأنَّها الهدىٰ والنور، ومتعلِّقين بنسبتهم إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري، غير ملتفتين إلىٰ رجوعه إلىٰ الحقِّ وطريق السلف، ومنكرين مؤلفاته علىٰ الرغم من صحة ثبوتها ونسبتها إليه، فما زالوا ينسبون الإمام إلىٰ البدعة، ويُنكرون رجوعَهُ إلىٰ الحق والسُّنة، ثم يزعمون أنهم أتباعه وأنصاره.

فهاهم -وعلىٰ خلاف منهج الإمام أبي الحسن- يُصرِّحون بوجوب تقديم العقل علىٰ النقل، وكذلك بعدم الاحتجاج بأحاديث رسول الله ﷺ في العقيدة، بِحُجَّة أنها آحاد، وإن كانت

في «الصحيحين» أو في أحدهما.

وكذلك بِوُجُوبِ تأويل النصوص وعدم إجرائها علىٰ ظاهرها، مُخالفين قواعدَ السلف والصحابة، ثم يزعمون أنهم أهل السُّنة والجماعة!!

واحدةٌ من هذه القواعد المخالفة تكفي للخروج عن مذهب أهل السُّنة والجماعة، فكيف بها مجتمعة في الأشاعرة؟ اسْتِخفافٌ بالنصوص، وترجيحٌ لعقول أئمتهم وآحادهم، وتقديم ذلك كله علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسوله ﷺ، يَزِنون النُّصوصَ بميزان العقل؛ فما وافق عُقُولَهم أثبتُوهُ وما خالفَ عُقُولَهم ردُّوهُ؛ بِحُجَّة ظَنِّيَّةِ الثبوت، وأنه آحاد يفيدُ الظَّنَّ لا العلم والقَطع، أو حرَّفوا معناهُ؛ ليتوافق مع مقتضيات عقولهم، مُسْتَخْدِمين غرائبَ اللغة، وأنواعَ المجازات، والمعاني المَرْجُوحة، وربما الضعيفة والشاذة، صارفين الألفاظَ في النصوص الشرعية عن معانيها الحقيقية والراجحة والظاهرة؛ بحجة أنها ظنيَّة الدلالة.

وكلُّ هذا العبث والتحريف يسمُّونَهُ تأوِيلًا، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، ويغيِّرون أسماءَ القبائح والمنكرات، ويستبدلونها بأسماء براقة، ويزينونها بألوان؛ ترويجًا لها بين العامَّة، وإيهامًا للأمة، والحقُّ أنَّهم يَعْبَثُون ويُسيؤون، وما عَلِمُوا أنَّ الأمورَ بحقائقها ومُسَمَّياتها، لا بأسمائها، وصُوَرِها، وألوانها.

ثمَّ كيف يزعمون –وبلا حياء– أنهم أهلُ السُّنة والجماعة؟!

وهم ما زالوا يُقرِّرون أنَّ مذاهِبَ الأُمةِ في الاعتقاد على ضَربين: مذهبِ السلف، ومذهبِ الخَلَف.

والسَّلفُ هم الصَّحابةُ رضوان الله عليهم، وهم الجماعة، كما جاء في حديث النبي ﷺ المشهور في افتراق الأمة عندما قال: «**كُلُّها في النار إلا واحدة**» قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «**الجماعة**»[(١)].

وفي رواية قال ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(٢)].

فالسُّنة: ما ثبت عن رسول الله ﷺ وَحيًا.

والجماعة: هم الصحابةُ رضي الله عنهم في فهمهم ومنهجهم في تقرير مسائل الاعتقاد وغيرها ممَّا جاء في الكتاب والسُّنة، فالإصابة والنجاة تحصل بالتَّمسُّك بما كان عليه النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، أي: السُّنة والجماعة.

وتتلخَّصُ طريقَتُهم في:

- تقديم النَّقْل الصحيح الثابت تقديمًا مُطْلَقًا.

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (٤٥٩٧)، وابن ماجه في «سننه» رقم: (٣٩٩٣)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٢٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعه» رقم: (٢٦٤١)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترمذي» رقم: (٢٦٤١).

❁ وعَدَمِ التفريقِ بين النصوص الشرعيَّة؛ فالقرآن والسُّنة، المتواتر والآحاد كلُّها تفيد العلمَ، وتُوجِبُ العملَ والتصديق على السواء.

❁ وإجراءِ جميع النصوص على الظاهر والحقيقة، لا المجاز، إلا ما أوجبه الدليل النقلي لا العقلي.

وأما مذهبُ الخَلَفِ فهم في الحقيقة خُلُوفٌ تفرقوا واضطربوا بسَبَبِ بُعدهم عن نور الوحي وقدَّموا العقل، وفَرَّقوا بين النُّصوصِ قَبولًا ورَدًّا بمُقتَضى ما تُمْلِيه عليهم عُقُولُهم، ثم عاثوا فسادًا في النصوص باسم التأويل الذي هو التحريف؛ لأنهم يخرجونها عن مضامينها وعن حقيقتها بقواعد عقليَّة، وأدلة منطقية استحسنوها وزعموا أنها هي القواطع الواجبُ اتِّباعها.

وأما نُصُوص الوَحْي عندهم فمَدارُها على الظَّنِّ والتَّخريص، وتدورُ بينَ:

❁ ظنيَّة الثبوت فتُرَد، ويُقَدَّم المَعْقُول عليها.

❁ وبين ظنيَّة الدلالة فيُحَرِّفونها عن مواضعها بأنواع المجازات والخيالات العقلية.

فالفرق واضِحٌ بَيِّنٌ لكلِّ مُتَجرِّد مُعَظِّمٍ للكتاب والسُّنة والصحابة.

والأشاعرة يُقرِّرون في جميع كتبهم أنَّ هناك مَذْهبًا للسلف ومذهبًا للخلف، وهذا دليل الإقرار بالفَرْق، ثمَّ - وبلا حياء - يُقرِّرون أنَّ مَذْهبَ السلف أَسْلَم، ومَذْهَبَ الخَلَفِ أَعْلم وأَحْكَم، وهذا تأكيدٌ وإمعان في تقرير الفَرْق والاختلاف، ولكنَّ العَجَب العُجَاب أنهم بعد هذا كلِّه يقولون ويزعمون أنَّ الأشاعِرةَ هم أهل السُّنة والجماعة!

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الكلمة من أكذب ما يكون نطقًا ومدلولاً، (طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم)، كيف تكونُ أعلم وأحكم وتلك أسلم؟! لا يوجد سلامةٌ بدون علم وحكمة أبدًا! فالذي لا يدري عن الطريق، لا يَسْلَمُ؛ لأنَّه ليس معه علم، لو كان معه علم وحكمة، لسَلِمَ، فلا سلامةَ إلَّا بعلم وحكمة، إذا قلتَ: إن طريقة السلف أسلم، لزم أن تقول: هي أعلم وأحكم وإلَّا لكنت متناقضًا، إذًا فالعبارة الصحيحة: (طريقة السَّلف أسْلَم وأعلم وأحكم)»(١).



---
(١) «شرح العقيدة الواسطية» (١/ ٩٥).

وممَّا جاء في تقرير الأشاعرة لهذه المقولة الفاسدة ما قاله البَيْجوريُّ في حاشيته علىٰ منظومةِ «جَوْهرة التوحيد»، عند قول النَّاظم [١]:

وكلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشبيها ... أَوِّلْهُ أَوْ فَوِّضْ ورُمْ تَنْزيها

وقال البَيجُوري في حاشيته: «**أَوِّلْهُ**: أي: احمِلْهُ علىٰ خِلاف ظاهره مع بيان المعنىٰ المراد، فالمراد أَوِّلْهُ تأويلًا تَفْصِيليًّا بأن يكون فيه بيان المعنىٰ المراد، كما هو مذهب الخلف، وَهُم مَن كانوا بعد الخمسمائة، وقيل: مَن بعد القرون الثلاثة.

وقوله: «**أَوْ فوِّضْ**» أي: بعد التأويل الإجمالي الذي هو صَرْفُ اللفظ عن ظاهره، فبعدَ هذا التأويل فوِّضِ المُرادَ مِن النصِّ المُوهِم إليه تعالىٰ، علىٰ طريقة السَّلف، وهم مَنْ كانوا قبل الخمسمائة، وقيل: القرون الثلاثة: الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين.

وطريقَةُ الخَلَفِ أعلَمُ وأَحْكَم؛ لِما فيها مِنْ مَزِيدِ الإيضاح والرَّدِّ علىٰ الخُصُوم وهي الأرجح؛ ولذلك قَدَّمَها المُصَنِّفُ.

---

(١) ناظِمها هو: برهان الدين إبراهيم بن حسن اللَّقاني الأشعري (ت:١٠٤١)، وللتوسع في معرفة ما في هذا النظم من مخالفات لعقيدة أهل السنة والجماعة يُنْظَر كتاب: «عقيدة الأشاعرة دراسة نقدية لمنظومة: جوهرة التوحيد» لحسان الرديعان.

وطريقةُ السَّلَفِ أَسْلَمُ لِما فيها مِنَ السَّلامَةِ مِن تَعيين معنىٰ قد يكون غَيرَ مُرادٍ له تعالىٰ...

فظهرَ مِمَّا قَرَّرْناهُ اتِّفاقُ السَّلفِ والخَلَفِ علىٰ التأويل الإجمالي؛ لأنهم يصرفون المُوهم عن ظاهره المُحالِ عليه تعالىٰ...» انتهىٰ كلامه(١).

هكذا -وبلا حَياء ولا خَجَل- يُرَجِّحُونَ مَذْهَبَهُم الكَلامِي الفَلْسَفي علىٰ مَذْهَبِ خَيرِ القُرُون؛ مَذْهَبِ الجَماعَةِ والصَّحابةِ.

وهكذا يَكْذِبون علىٰ الصَّحابة رضي الله عنهم بأنَّهم أهلُ تأويل إجمالي؛ بمعنىٰ أنهم لا يُقَرِّرون أيَّ معنىٰ لآيات الصفات التي وصفوها بأنها تُوهِمُ التَّشبيهَ، فاتَّهموا النصوصَ بأن فيها تشبيهًا للخالق بالمخلوق، وتَفْتَقِرُ إلىٰ تنزيه الباري، وكأنَّهم أعلم بالله وبما يليق به من نفسه تبارك وتعالىٰ!

واتَّهموا رسولَ الله ﷺ بأنه وصفَ ربَّهُ بما ظاهِرُهُ التَّشبيهُ وعدم التنزيه، وكأنَّهم أعلم من رسول الله ﷺ بما يليق بالله تبارك وتعالىٰ وبمدلولات الألفاظ والمعاني والأوصاف، ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

ثمَّ وبعد هذا كله، يزعمون أنهم هم أهل السُّنة والجماعة!!

---

(١) «حاشية البيجوري علىٰ جوهرة التوحيد» (ص١٥٦).

وكأنهم نَسُوا أنهم أرجَحُ في مذهبهم وفي معرفة ما يليق بالله، وما زالوا يُرَجِّحُون مذهبَ الخَلَفِ على مذهب السلف، فحَرِيٌّ بهم ألَّا يقولوا: «إنهم هُم أهلُ السُّنة والجماعة»؛ لأن مذهبَ السُّنة والجماعة مَرْجُوحٌ عندهم، وليُصَرِّحوا بأنهم أفضلُ مِنَ الصحابة في فَهْمِ نُصُوص الكتاب والسُّنة وتَطْبيقها، وأعقلُ، وأعلمُ، وأكثرُ حِكمةً كما يزعمون!!

وأذكرُ هنا مِثالًا؛ اسْتِيضاحًا واسْتِبْيانًا لسَبيل الأشاعرة المُتَكلمين المُتَنَكِّبين عن الصراط والسُّنة والجماعة، وهي مسألة طال حَولها الجَدَلُ، ورُبَّما غَفَل عنها جماهيرُهُم وعامَّتُهم، فلا يظنونها مِنْ مَذْهَبِهم؛ لأنها عندهم مِنْ خَصائِص غُلاةِ المُعْتزلة المُعَطِّلة، إنها مسألة: «القول في القرآن وكلامِ الله»، فهي من المسائل المُتَفَرِّعة عن مناهِجِهم وطريقتهم الفَلْسَفِيَّة الكلامية التَّلْفِيقِيَّة، وأذكرها هنا، توضيحًا لاضْطِرابهم ومُخالَفَتِهم وتَلْفِيقِهم في مسائل الاعتقاد، وبيان أنَّهم والمعتزلة على أصلٍ واحِدٍ، مع زيادتهم عليهم في التَّلْبيس والتَّدْليس والتَّلْفِيق.

فتدبَّرْ هذه المسألةَ، وتجرَّدْ من المُتابعةِ والمُوافقةِ إلا لله، ولرسوله ﷺ، ثم للصحابة رضي الله عنهم؛ لِتُدْرِكَ بُعْدَ الأشاعرة عن الحقِّ والسُّنة والجماعة، وقربهم من المعتزلة والجهمية والمعطِّلة.



يقول إمامُ الحَرَمَين أبو المعالي الجويني المتوفىٰ (سنة ٤٧٨ هـ) في كتابه «الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»:

«**فصل**: معنىٰ إنزال كلام الله تعالىٰ: ... فالمعني بالإنزال، أنَّ جِبريل عليه الصلاة والسلام أدركَ كلامَ الله تعالىٰ وهو في مقامه فوقَ سَبْعِ سماوات، ثم نزل إلىٰ الأرض، فأفهم الرسول ﷺ ما فَهِمَهُ عِنْدَ سِدْرةِ المنتهىٰ من غير نَقْلٍ لذات الكلام»[1].

ويقول: «الكلام هو القولُ القائِمُ بالنَّفس ...، الذي تدلُّ عليه العبارات، وما يُصْطَلَحُ عليه من الإشارات»[2].

ويقول: «وهو الفِكْرُ الذي يدور في الخَلَد، وتدلُّ عليه العِبارات تارة، وما يُصْطَلَحُ عليه من الإشارات ونحوها أخرىٰ، والدليل علىٰ إثبات الكلام القائم بالنفس: أنَّ العاقِلَ إذا أَمَرَ عبدَهُ بأمرٍ وَجَدَ في نَفْسِهِ اقتضاءَ الطاعة منه وِجْدانًا ضروريًّا»[3].

ثم استدلَّ بقول الشاعر:

إنَّ الكلامَ لَفي الفؤادِ وإنَّما جُعِلَ اللِّسانُ علىٰ الفؤادِ دليلا

---

(١) «الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» (ص ١٢٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٩٦).

(٣) «الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» (ص ٩٧).

وهذا البيت يُنسَبُ للأَخْطَلِ النَّصراني، وقد بيَّن العلماء بطلان الاستدلال به علىٰ مسألة الكلام النفسي من وجوه عدة منها:

❁ عدَمُ وُجُود هذا البيت في ديوان الأخطل.

❁ أن البيتَ رُوِيَ بلفظ: «إنَّ البيانَ لفي الفؤاد»، ولو احتجَّ مُحْتَجٌّ في مسألةٍ بحديث في «الصحيحين» عن النبي ﷺ لقالوا: «هذا خَبَرُ واحد»! ويكونُ ممَّا اتفقَ العلماءُ علىٰ تصدِيقه وتَلَقِّيه بالقبول، وهذا البيت لم يثبتْ نَقْلُهُ عن قائله بإسناد صحيح، لا واحد ولا أكثر من واحد، ولا تلقَّاه أهلُ العربية بالقَبول، فكيفَ يَثْبُتُ به أدنىٰ شيءٍ من اللُّغة فَضْلاً عن مُسمَّىٰ الكلام!؟

❁ أنَّ الأخطلَ من المُوَلَّدين؛ وليس من الشُّعراءِ القُدَماء، وهو نصرانيٌّ كافرٌ مُثَلِّث، واسمه: الأَخْطل، والخَطَلُ فسادٌ في الكلام، والنصارىٰ قد أخطأوا في مسمَّىٰ الكلام، فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (١).

ثم تَدبَّر يا أخي، وأَمْعِن النَّظَرَ في كلام الجويني وتقريراته، فجِبريلُ لم يَسْمَعْ؛ لأنَّ الله تعالىٰ لم يَتَكَلَّم، ولأنَّ كلامَهُ هو ما قام في نفسِهِ من المعاني، وهو الفكر الذي يدور في الخَلَد قبل التلفُّظ به.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام (٧/ ١٣٨).

ثم تَدَبَّرْ: دليلَهُ على كلام الله النَّفسي حيث مثَّل كلام الله النَّفسي بما يجده العاقلُ إذا أَمَرَ عبدَهُ!!! يا سبحان الله!

وأذكُرُ هنا كلمةَ شيخنا حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله وشيخنا عبد المحسن بن حمد العباد البدر، وشيخنا عبد الله بن محمد الغنيمان حفظهما الله: **بأنَّ الأصْلَ في أهل التَّجَهُّم، والتَّعطيل، والتَّأويل أنهم ينظرون إلى النصوص الشرعية في صفات الله بما يعرفونه ويشاهِدُونَهُ في المخلوق والمَحْسُوس**؛ تقريرًا منهم لِما نصَّ عليه شيخ الإسلام وتلميذه ابنُ القيِّم رحمهما الله تعالى: بأنَّ المُعَطِّل مُشَبِّهٌ لا مَحالةَ؛ فإنه شبَّه أولًا؛ حيثُ نَظَرَ إلى كُلِّ ما يُضافُ إلى الله تعالى بما يَعْرِفُهُ في المَخْلوق.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «أمَّا المُعَطِّلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل، مثَّلوا أولًا وعطَّلوا آخِرًا، وهذا تشبيهٌ وتمثيلٌ منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيلٌ لما يستحِقُّه هو سُبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى»(١).

وقال تلميذُهُ ابنُ القيِّم رحمه الله: «ولهذا قال بعضُ أهل العلم:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٧).

إنَّ كلَّ مُعطِّلٍ مُشَبِّهٌ، ولا يستَقِيمُ له التَّعطيلُ إلا بعدَ التَّشبيه»[(١)].

فإذا سَمِعَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] قامَ في نَفۡسِهِ ما يعرفه مِن اسۡتِواء المخلوق علىٰ عرشه أو كرسيه أو سريره، وما لَزِمَهُ مِنَ المُماسَّةِ والحاجة والافتِقار[(٢)]، وغيرها من اللوازم العقليَّة التي يعرفها في المخلوق وصفاته، الأمۡرُ الذي يَحۡمِلُهُ علىٰ الفِرارِ من هذا التشبيه بنفي حقيقةِ الصِّفَةِ عن الله جَلَّ جَلَالُهُ، أو نفي المعنىٰ الكُلِّي عن الله جَلَّ جَلَالُهُ، فشَبَّه أولًا، ثم فرَّ منه إلىٰ التعطيل ثانيًا.

وهذا أبو المعالي يَسۡتَدِلُّ علىٰ صِفَةٍ مِن صِفات الله بما يَجِدُهُ العاقِلُ -بزعمه- في نَفۡسِهِ!!

فأين التنزيه؟! وأين هو من قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾؟! فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

فالأشعريُّ لمَّا نَظَرَ إلىٰ الصفات الواردة في الكتاب والسُّنة، ثم عَرَضَها علىٰ ما عَرَفَهُ في المخلوق وَجَدَ نَفۡسَهُ مُضۡطرًّا إلىٰ

---

(١) «الصواعِقُ المرسلة» (١/ ٢٤٤).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ اسۡتِواءَ الله علىٰ العرش ليس لحاجته إلىٰ العرش، بخلاف استواء الإنسان مثلاً علىٰ السرير أو علىٰ الدابة؛ فهو للحاجة إليها، ولهذا لو أُزيلَ السَّريرُ مِن تحته لسَقَطَ، أما الرب عَزَّ وَجَلَّ فإن استواءه علىٰ عرشه لظهور عظمته عَزَّ وَجَلَّ، وتمام ملكه، وليس لأنه محتاج إلىٰ العرش، بل إن العرش وغيره في حاجة إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ» [انظر: «شرح السَّفارينية» (ص١٨)].

التعطيل والتأويل؛ فرارًا من التشبيه، وتحقيقًا للتَّنزيه، وهذا إنما أُتِيَ مِنْ حيث التشبيه، فهو قد شبَّه أولًا، ونظر بعين التشبيه، ثم لم يجد بُدًّا من التعطيل، فعالجَ الدَّاءَ بما هو أعظم داءً، وهكذا البِدْعةُ تَجرُّ بصاحبها إلىٰ بدعٍ أخرىٰ.

فها هو القاضي عبد الرحمن الإيجي المتوفىٰ (سنة ٧٥٦هـ) في كتابه «المواقف في علم الكلام» يقول: «في المقصد السابع: في **أنه تعالىٰ متكلمٌ**».

ذكَرَ أولًا قولَ الحنابلة[١] وأبْطَلَهُ، ثم ذكر قولَ المعتزلة بأنه أصواتٌ وحُروفٌ يَخْلُقُها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في غيره، كاللَّوحِ المحفوظ، أو جِبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو حادث (أي: مخلوق).

ثم قال: «وهذا لا نُنْكِرُهُ -أي: القولُ بأنه حادث- لكنَّا نُثْبِتُ أمرًا وراءَ ذلك؛ وهو المعنىٰ القائم بالنَّفس، ونَزْعُم أنه غير العِبارات...

إذا عرفتَ هذا، فاعلم أن ما يقولُهُ المُعتزلة، وهو خلق الأصوات والحروف وكونُها حادثةً قائمةً، فنحن نقول به ولا نزاع

---

(١) أرادَ الإيجي بالحنابلة أتباعَ السَّلَفِ الصالح، المتمسكين بالكتاب والسُّنة، وفهم سَلَفِ الأمَّة، وذلك لأنَّ غالبَ عُلماء الحنابلة في ذلك الوقتِ كانوا علىٰ عقيدة أهل السُّنة والجماعة.



بيننا وبينهم في ذلك، وما نقوله من كلام النَّفس فإنهم يُنكِرون ثبوتَهُ... فإذًا الأدلةُ الدالة على حدوث الألفاظ إنَّما تفيدهم بالنسبة إلى الحنابلة...

وأما ما دلَّ على حُدوث القرآن مُطْلقًا فحيثُ يُمكِنُ حَمْلُهُ على حدوث الألفاظ...»[1].

ويقرِّرُ الإيجي أن الأشاعرةَ يتَّفِقُون مع المعتزلة على أنَّ القرآنَ بألفاظِهِ وحُروفِهِ مخلوق.

كما يُقَرِّرُ وُجود أدلةٍ تقرِّرُ أنَّ القرآن مخلوق! وأنها تُفِيد في الرَّدِّ على مذهب الحنابلة -أهل السُّنة والجماعة- في قولهم الذي ذكره قبل هذا؛ أنَّ القرآن كلام الله، وأنه ليس بمخلوق.

وهذا كتاب نظم «جوهرة التوحيد» -خاتِمَة نصوصِ الاعتقاد في المذهب الأشعري، والمعتمدُ في مقرر الاعتقاد في الجامعات الإسلامية التي تتبنى المذهب الأشعري كالأزهر وغيره-.

وقد اعتنى بشرحه طائفة من علمائِهم؛ منهم إبراهيم البَيْجُوري -كان شيخ الأزهر- في حاشيته المسماة «تحفة المُرِيد على جوهرة التوحيد».

يقول البيجوري: «... واعْلَمْ أنَّ كلامَ الله يُطْلَقُ على الكلام النَّفسي، بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى، وعلى الكلام اللَّفْظِي

---

(١) «المواقف في علم الكلام» (ص٢٩٣-٢٩٤).

بمعنىٰ أنه خَلَقَهُ ... وإطلاقه عليهما قيل: بالاشتراك -أي: بالاشتراك اللَّفظي بزعمهم-، وقيل: حقيقيٌّ في النَّفسي، مجازٌ في اللفظي ... ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادِثًا -أي: مَخْلوقًا- لا يجوزُ أن يُقَال: «القرآن حادِثٌ» إلا في مقام التَّعليم؛ لأنه يُطْلَقُ علىٰ الصِّفة القائِمةِ بذاته أيضًا، لكن مَجَازًا علىٰ الأرجح، فربَّما يُتَوَهَّمُ مِنْ إطلاق أنَّ القرآن حادِثٌ أنَّ الصِّفةَ القائمة بذاته تعالىٰ حادثة... وقد أُضِيفَ له تعالىٰ كلامٌ لَفْظِيٌّ كالقرآن، فإنه كلام الله قطعًا، بمعنىٰ أنه خلقَهُ في اللَّوحِ المَحْفُوظِ ... وهذا هو المراد بقولهم: «القرآن حادِثٌ ومَدْلُولُهُ قديم»، فأرادَ بمَدْلُوله: الكلامَ النفسي...»[1].

هكذا يقرِّرُ أنَّ القرآنَ الموجودَ بينَ أيدينا، والذي نَقْرَؤُهُ مَخْلُوقٌ، وأنَّ اللهَ خلقَهُ في اللَّوحِ المَحْفوظ.

ويُقَرِّرُ ويرجِّحُ عَدَمَ إِطلاقِ هذا الاعتقاد؛ لأنَّ المُسْتَمِعَ قد يتوهَّمُ أنَّ المُرادَ بالمَخْلُوق المعاني القائمة في ذات الله تعالىٰ!

وهذا التوهُّمُ لا مَحَلَّ له ولا وجودَ إلَّا في أذهانهم وعُقُولِهم؛ لأنَّ الجَمِيعَ يريدُ بالقرآن الألفاظَ المَوجودةَ بينَ دفَّتي المصحف، والمَقْروءَةَ في الصلاة وغيرها، وأمَّا المعاني القائمة في النَّفْسِ فليستْ كلامًا عند العرب ولم يوردها أحدٌ في قوله وتعريفه للقرآن.

---

(١) «تحفة المريد علىٰ جوهرة التوحيد» (ص١٣٠-١٣١).



ثم يقول عن قول صاحب الجوهرة:

«ونَـزِّه القرآنَ -أي: كلامَه-   عن الحُدوثِ واحْذَرِ انتقامَهُ»

يقول: «أي: واعتقدْ أيُّها المُكَلَّف تَنَزُّه القرآن -بمعنىٰ كلامه تعالىٰ- عن الحُدُوث خِلافًا للمُعتزلة ... -ثم ذكر مذهبَهم بأن-: القرآنَ بمعنىٰ الكلام النَّفْسي ليسَ بمخلوق، وأما القرآن بمعنىٰ اللفظ الذي نقرؤه فهو مَخْلوقٌ، لكن يمتنع أنْ يُقَال: «القرآن مخلوق» ويرادُ به اللفظُ الذي نقرؤُهُ إلا في مقام التعليم؛ لأنه ربما أوْهَمَ أنَّ القرآنَ بمعنىٰ كلامِهِ تعالىٰ مخلوق، ولذلك امتنعت الأئِمَّةُ مِنَ القول بخَلْقِ القرآن، وقد وَقَعَ في ذلك امتحانٌ كبير لخلق كثير من أهل السُّنة ...»(١).

هكذا يقرِّرُ أنَّ مِحْنةَ القولِ بخلق القرآن التي تولىٰ كبرها المعتزلةُ، إِنَّما أرادوا مطلقَ القَوْلِ المُوهِم للمعاني القائمة في نفس الله وذاته الكريمة العليَّة!

وقد كَذَبَ الأشاعرةُ، فإنهم يريدون الانتصار لمذهبهم التلفيقي، الذي فيه كثير من التلبيس والتدليس، وعَلِمَ اللهُ تعالىٰ، كما عَلِمَ الخاصَّةُ والعامَّةُ أنَّ المُعتزِلَةَ إنَّما أرادوا القرآن الذي بين أيدينا، والمَقروءَ في الصلاة وغيرها، ولم يريدوا المعاني القائمة

(١) «تحفة المريد علىٰ جوهرة التوحيد» (ص١٦٠).

بالنَّفس، ولم يعرفوها أصلًا؛ لأنَّ أوَّلَ مَن نَطَقَ بها هم الكلابيَّة، وهم أسلاف الأشاعرة، فلم يعرفها لا المعتزلة، ولا أهلُ السُّنة المَحْضَةِ، أتباع السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

ثم فرَّع الأشاعرةُ مِنَ المسائل التي غَلَبَ عليها التَّرفُ والفَسادُ العقلي بما قَعَّدُوه واسْتَحْسَنُوه من تُرَّهات العقول والأفكار، وها هم ما زالوا يردِّدُون من تلك الأسئلة وتفريعات المسائل التي تُقَرِّر خلقَ القرآن؛ كقولهم:

«وهل القرآن بمعنىٰ اللَّفْظِ المقروء أفضلُ أو سَيِّدُنا محمد ﷺ؟! تَمَسَّكَ بعضُهم بما يُروىٰ: «كلُّ حَرْفٍ خيرٌ مِنْ محمدٍ وآل محمد»، لكنَّه غير مُحقَّقِ الثبوت، والحق أنه ﷺ أفضلُ من كل مخلوق، كما يؤخذ من كلام الجلال المحلي علىٰ البردة...»[1].

تَدَبَّرْ يا أخي هذه المقارنة والمفاضلة التي منشؤها المقارنة بين مخلوق ومخلوق؛ لذلك ترىٰ الترجيح والتفضيل الجائر؛ لأنهم فضلوا محمدًا ﷺ علىٰ صفة من صفات الله، ولكنها البدعة والعقل الملوث والأهواء كذلك تفعل بأصحابها.

ثم مسألة أخرىٰ تدبَّرها؛ كيف رَدَّ القول الأول بحجة واهية ساقطة فيقول: «لكنَّهُ غير محقَّق الثبوت»، ثم رجَّح ما وافق تقريره

(١) «شرح الجوهرة» للبيجوري (ص ١٦١).



وعقيدته المنحرفة بما زعمه مأخوذًا من كلام الجلال المَحَلِّي في شرحه وتعليقه على البُردة!!

ويقول أيضًا: «...والراجح أن المُنَزَّلَ: اللفظ والمعنى، وقيل: المُنَزَّل: المعنى، وعَبَّرَ عنه جبريلُ بألفاظ من عنده، وقيل: المُنَزَّل: المعنى، وعَبَّرَ عنه النبيُّ ﷺ بألفاظٍ مِنْ عنده.

لكن التحقيق: الأول؛ لأنَّ اللهَ خلقه أولًا في اللوح المحفوظ، ثم أنزله في صحائف إلى السماء الدنيا في مَحَلٍّ يقال له: «بيت العِزَّة» في ليلة القدر...ثم أنزله على النبيِّ مُفَرَّقًا»[(١)].

انظر -رحمك الله- موافقتَهم للمُعْتزلة، ولكن لا يصرحون إلا في مقامات الخاصة منهم؛ لإظهار وإيهام موافقتهم لأهل السُّنة في مخالفة المعتزلة في القول بخلق القرآن!!

وانظُر أيضًا قُرْبَ كلام الأشاعرة من كلام الوليد بن المغيرة الذي زعم أنَّ القرآن قولُ البشر فتوعَّده الله بسقر.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في سياق حديثه عن القرآن: «فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمَّه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر:٢٦] فلما أوعد الله بسقر لمن

(١) «حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد» (ص ١٦٢).

قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]، علمنا وأيقنَّا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر»(١).

وفي تقرير هذا المعنىٰ يقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن زعم أنَّ هذا الكتاب غير القرآن، وأنه كلام المخلوقين، وأن القرآن معنىٰ في النفس لا يُنزَّل ولا يُقرأُ، ولا يُسمَعُ ولا يُتلىٰ، ولا يَنفع، ولا له أوَّل ولا آخر، ولا جزء ولا بعض، ولا هو سُوَر، ولا آيات وحروف، ولا كلمات، فهذا زنديق رادٌّ علىٰ رب العالمين، وعلىٰ رسوله الصادق الأمين، مخالف لجميع المسلمين، ناكب عن الصراط المستقيم»(٢).

خَلْطٌ وتلفيقٌ وتَدْلِيسٌ وكَذِبٌ، ثم يزعمون أنَّهم هم أهل السُّنة والجماعة، والصحيح أنهم لا السُّنة والنُّصوصَ التزموا، ولا الجماعة والصحابة تابعوا ونصروا، بل خالفوهم ورجَّحوا مذهَبَهم علىٰ مذهب الصحابة السَّلف الذين أمر الله عَزَّوَجَلَّ من أراد النجاة والجنة أن يتابعهم بإتقان وإحسان، وتَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَنْ خالفهم بالنار والعذاب ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) انظر: «شرح ابن أبي العز علىٰ الطحاوية» (١/ ١٧٢).

(٢) «رسالة في القرآن وكلام الله» (ص: ٣٤).

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٠].

وكذلك قال رسول الله ﷺ: في الناجين عند الافتراق؛ أنهم: «**الجماعة**»، وفسرها بقوله: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(١).

وهؤلاء لم يتَّبعوا بل خالفوا، ثم تمادوا ورجَّحوا مذهَبهم علىٰ مذهب السلف، ولا المِثْلِيَّة قصدوا، بل تعدَّوا وأصَّلُوا في مخالفتهم، ثم استهزؤوا بطريقة السلف ورأوا وصرحوا أن طريقتهم خير وأفضل من طريقة من نصَّ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ ورسوله ﷺ بأنهم الخير والأتمَّ والأفضل.

فالأشاعرة يزعمون أن القرآن كلام الله، وأن كلامه معنىٰ قائم بنفسه لا يتعلق بالمشيئة، ويقرِّرون أن هذه الألفاظ والحروف مخلوقة، وهي عبارة عن المعنىٰ القائم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهم يفرِّقون بين اللفظ والمعنىٰ، فكلام الله الذي هو معانٍ أزليَّة قائمة بنفسه لا حرف فيها ولا صوت، وأمَّا الألفاظ والحروف التي في القرآن فهي مخلوقة عندهم، يعبر بها عن الكلام النفسي، فالأول قديم غير مخلوق؛ وهذه موافقتهم لأهل السُّنة بزعمهم، والثاني حادث مخلوق؛ وهذه موافقتهم للمعتزلة المعطلة.

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» رقم: (٢٦٤١)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترمذي» رقم: (٢٦٤١).

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يكن في مُسَمَّىٰ الكلام نزاعٌ بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم، لا مِنْ أهل السُّنة، ولا من أهل البدعة، بل أول مَنْ عُرِفَ في الإسلام أنه جعل مسمىٰ الكلام: المعنىٰ فقط هو عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب، وهو متأخر في زمن مِحْنِةِ أحمد بن حنبل، وقد أنكر ذلك عليه علماء السُّنة وعلماء البدعة»[(١)].

فابن كُلَّاب خَرَقَ إجماعَ أهل البدع في مسألة الكلام النَّفْساني، وخالفَ فيه النقل، والعقل، والفطرة، والعرف، واللغة، فجاء بشيء لم يعْرِفْهُ أحدٌ مِن قبل، فأشبه بذلك النصارىٰ في قولهم بالتَّثليث.

وهذا أبو الحسن الأشعري في كتابه «المقالات» في ذكر جملة قول أصحاب الحديث وأهل السُّنة يقرر معتقده في القرآن بأنه غير مخلوق[(٢)].

وفي كتابه «الإبانة» قال: «ونقول: إن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر»[(٣)].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ١٣٤).

(٢) «مقالات الإسلاميين» (ص ٢٩٢).

(٣) «الإبانة» (ص25).



وأمَّا خاتمة القول في هذه المسألة:

أن أهل السُّنة والجماعة يعتقدون أن القرآن كلام الله تعالىٰ حروفه ومعانيه، وألفاظه تكلَّم به حقيقة، منه نزل وإليه يعود(١).

واعلم أنَّ شيخَ الإسلام ابنَ تيمية وتلميذَه ابنَ القيم يُتَّهمان بأنهما أول مَنْ أخرجَ الأشاعرةَ مِنْ أهل السُّنة والجماعة، وهذا باطل، ويجب أن يُعْلمَ أنَّ شيخَ الإسلام ابن تيمية من أحرص الناس علىٰ ألا يُؤْثَر عنه قولٌ أو حُكْمٌ لم يُسْبَق إليه، مع إمامته وجلالته ودقَّته وعظيم معرفته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد سبق شيخَ الإسلام وابنَ القيِّم بإخراج الأشاعرة من مذهب أهل السُّنة والجماعة جماعةٌ من أهل العلم:

فقد نقل ابن عبد البر عن محمد بن خُوَيز مِنْداد المالكي المتوفىٰ سنة (٣٩٠هـ) في كتاب «الشهادات» له في تفسير قول مالك: «**لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء**» قال: «أهلُ الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هُم أهل الكلام، فكلُّ متكلِّمٍ فهو من أهل الأهواء والبدع، أَشْعَريًّا كان أو غيرَ أشعريٍّ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدًا، ويُهْجَرُ ويُؤَدَّبُ علىٰ بدعته، فإن تمادىٰ عليها استُتِيب منها»(٢).

---

(١) انظر: «شرح أصول السُّنة للإمام أحمد» للمؤلف حفظه الله (ص:١٢٧).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٩٤٢).

وقال الإمام أبو إسماعيل الهروي في كتابه «ذمُّ الكلام»: «سمعت أحمد بن نصر المالِيني المتوفىٰ سنة (٤١٢هـ) يقول: دَخَلْتُ جامعَ عمرو بن العاص بمصر في نفر من أصحابي، فلمَّا جلسنا جاء شيخ فقال: أنتم أهل خراسان أهلُ سُنَّة، وهذا هو موضع الأشعرية فقوموا»[١].

وذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» أنَّ ابنَ فُورك -وهو من أئمة الأشعرية- دخل علىٰ السلطان محمود بن سبكتكين المتوفىٰ سنة (421هـ) فقال: «لا يجوز أن يوصفَ الله بالفوقية؛ لأن لازم ذلك وصفُهُ بالتحتية... فقال السلطان: ما أنا وَصَفْتُهُ حتىٰ يلزمني، بل هو وصف نَفْسَهُ، فبُهِتَ ابنُ فُورك، فلمَّا خرج مِن عِنْدِهِ مات، فيقال: انشقَّتْ مرارته»[٢].



(١) «ذم الكلام وأهله» (٤/ ٤١٨) رقم: (١٣٣٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤٨٧).



تنبيه

انتشرتْ فتوىٰ بعنوان: (**الأشاعرة والماتريدية من أهل السُّنة والجماعة**)، وكان مِن جُملة مَن أمضىٰ عليها باسمِهِ فضيلة شيخنا وأستاذنا: د. عبد الله بن محمد الغنيمان، فاغترَّ بها بعضُ الناس، وصارَ ينسبُ إلىٰ فضيلة الشيخ الغُنيمان أنَّه لا يُبدِّعُ الأشاعِرة ولا يُضلِّلهم.

فما كان من الشيخ حفظه الله إلا أن أصدرَ بيانًا توضيحيًّا في هذه المسألة يُبيِّنُ فيه حقيقةَ الأمر، وقد نُشِرَت في موقِعه الإلكتروني، فرأيتُ مِنَ المصلحةِ إيرادَ البيان الأخير من كلامِهِ كاملًا؛ ليظهرَ الحقُّ بها، ويزول اللَّبس، وليَنكفَّ مَنْ يطلبُ الفِتنةَ بنشر الفتوىٰ السَّابقة:

قال شيخنا وفقه الله: «الحمد لله ربِّ العالمين وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبيِّنا محمد وآله وصحبه، وبعد:

فسبق أن أجاب الدكتور عبد العزيز القاري علىٰ سؤال في حُكْمِ التَّعاون علىٰ الخير مع من يعتقدُ مذهبَ الأَشعرية، وأَيَّدَهُ في ذلك فضيلة الشيخ محمد السحيباني، ووقَّعْتُ أنا علىٰ جوابيهما

مؤيداً لهما، فكان في الجواب أنَّ الأشاعرةَ في الأمور العامة من أهل السنة، ففَرِحَ بذلك بعضُ من أُشْرِبَ قلبُهُ حُبَّ الباطل؛ ممَّنْ تمسَّكَ ببدعة الأشعرية وضلالِها، كما أنكـرَهُ مَنْ لم يفهم المراد من أهل السنَّة، فصار أولئك ينشرون تلك الفتوىٰ، ويحتجُّون بها علىٰ أن الأشعريةَ من أهل السنَّة، فلزم لذلك البيان والإيضاح.

فأقول: من تأمَّل الجوابَ عَلِمَ أنَّ المقصودَ ليسَ ذِكْرَ حُكْم مذهَبِ الأشعرية، وإنَّما المقصودُ التعاون معهم في أمور الإسلام العامة؛ سواءٌ صار مَنْ له الأمر منهم أو من أهل السنة.

والمرادُ بالأمور العامة مثل: الإمامة، وقيادة الجيوش في قتال الكفار، ومثل القضاء، وإمامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك.

فإذا كان إمام المسلمين أشْعَرِيًّا في عقيدته، أو كان قائد الجيش في قتال الكفار أشْعَرِيًّا، أو كان في جنود المسلمين أشاعرة، أو كان القاضي أَشْعَرِيًّا، أو إمام الصلاة وما أشبه ذلك؛ فلا يجوز أن يُعْصَوا في ذلك ويُفارَقوا، بل حُكْمُهُم في ذلك حُكْمُ أهل السُّنة، ولم يزل المسلمونَ علىٰ ذلك منذ وُجِدَ هذا المذهبُ كما هو واضح عند أهل العلم.



فملوك بني أيوب مثل صلاح الدين، وكذلك مماليكهم الذين صاروا ملوكًا كُلُّهم على هذا المذهب الأشعري.

وكثيرٌ من العلماء الكبار مثل: الباقلاني، وابن فُورَك، والإسفراييني، والعزُّ بن عبدالسلام، والحليمي، والبيْهقي، والنَّووي، وابن حَجَر العسقلاني، وغيرهم كثير هم على هذا المذهب.

وغالبُ قُضاة المسلمين في مصر والشام والعراق والحجاز وسائر بلاد المسلمين كانوا أشاعرة.

بل كان أمير المؤمنين المأمون وأخوه المعتصم وابنه الواثق على مذهب المعتزلة الذين يقولون بخلق القرآن وإنكار صفات الله تعالى، ولم يأمر أحدٌ من العلماء المُعْتبرين بخلعهم والخروج عليهم وعدم طاعتهم أو القعود عن القتال معهم ولأن هذا من الأمور الهامة ينص عليه العلماء في عقائدهم، وكان الإمام أحمد وغيره من علماء السنة يأمرون بطاعتهم وينهون أشد النهي عن الخروج عليهم ويقاتلون العدو معهم ويدعون لهم.

وهذا واضح على مذهب أهل السنة لأنَّهم لا يرون الأشاعرة ونحوهم كفاراً بل هم على الإسلام وإن كانوا قد ضلُّوا في توحيد الأسماء والصفات وغيره فهم مسلمون.

أما مذهب الأشاعرة في صفات الله تعالىٰ وفي بعض مسائل الإيمان والقدر فهو ضلال بَيِّن، وفيه تناقضٌ واضِحٌ، فهم في ذلك بعيدون عن أهل السنَّة فليسوا منهم.

بل مذهبُ الأشعرية أمشاجٌ مِنْ مذاهب المتكلمين والفلاسفة والصوفية والسنَّة.

وإذا لم يخلَّص الحقُّ من الباطل فلا يكون علىٰ السنة التي جاء بها رسول ﷺ، وكان عليها أصحابه وأتباعهم إلىٰ اليوم.

ثم الانتساب إلىٰ مذهب الأشعريَّة بدعة ضلالة ويقال مثل ذلك في مذهب الماترُيدية.

وكيف يكون من أهل السنَّة من يخالف صريح القرآن وحديثَ رسول الله ﷺ في مثل مسألة الاستواء علىٰ العرش وعلو الله تعالىٰ علىٰ خلقه ونحو ذلك؟!

ونسأل الله تعالىٰ لنا ولهم الهداية إلىٰ الحق، وأن يرينا الحقَّ حقًّا ويرزقَنا اتِّباعه، وأن يرينا الباطلَ باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وألَّا يجعل علينا الأمر ملتبسًا فنَضِلَّ».

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأزواجه وجميع صحبه، والله أعلم.



قاله وكتبه/ عبد الله بن محمد الغنيمان

١٦/ ١/ ١٤٢٨هـ».

هذا نصُّ كلامِهِ حفظه الله.

هدىٰ الله الجميع ووفق ﷻ وسدَّد، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وعلىٰ من تبعهم بإحسان، والحمد لله رب العالمين.



فهرس المحتويات